الحملة الصليبية الأولى

المنطلقات والأهداف ورد الفعل الإسلامي

د. نعمان محمود جبران

جامعة اليرموك – قسم التاريخ

د. منى جمعة حماد

الحملة الصليبية الأولى

١ – المنطلقات والأهداف : –

ما تزال الحروب الصليبية بفكرتها ومراحلها وأهدافها تشغل حيزاً بالغ الأهمية في دراسات المؤرخين بشكل عام والمؤرخين الأوروبيين بشكل خاص، وقد قاد هذا الاهتمام الى التعمق والتفصيل في دراسة أسباب ونتائج هذه الحروب، ورغم ذلك فلا زالت الأبحاث تجد لها ميداناً خصباً في دراسة بعض الجوانب الهامة، ومنها محاولات التركيز على دراسة المنطلقات الفكرية التي قادت الى هذه الحروب، وكان أحد ميادين هذا الجانب الهام هو البحث عن إجابة لسؤال هام طرح على مستويات فكرية ودينية وسياسية، هذا السؤال هو كيف تطور الأمر بالكنيسة اللاتينية بحيث تبنت الحرب كوسيلة لتحقيق أهدافها الدينية التي لم تكن بمعزل عن تحقيق أهداف سياسية واقتصادية وعسكرية لأطراف أخرى ساهمت في تبني الكنيسة للحرب أو استفادت لاحقاً من هذا التطور؟.

ان محاولات بعض من / يسمى الدارسين للإجابة على هذا السؤال انطلقت من فرضية – ثبت صحتها – من قبل من ؟؟؟؟ مؤادها ان الحرب الصليبية كفكرة ومشروع تعود في جذورها التاريخية التطورية الى ما قبل مؤتمر كليرمونت ١٠٩٥م، أي ان التحضير على مستويات فكرية نظرية كانت أسبق من دعوة البابا أوربان الثاني (١٠٨٨-١٠٩٩م) في هذا المؤتمر، وعليه فان دعوة أوربان كانت تتويجاً لجهود تحضيرية سابقة كانت متلازمة في تطورها مع تطور

الأوضاع في الغرب الأوروبي بمستوياته الحياتية المختلفة وبالأخص تطور الجانب الديني الكنسي بتقاطع أو تعارض هذا التطور أو انسجامه أحيانا مع التطورات السياسية والاقتصادية والعسكرية الأوروبية.

وفي سبيل توضيح منطلقات الحروب الصليبية وأهدافها نجد لزاما توضيح بعض آراء من كتب في هذا الموضوع، وكان من أوائلهم الباحث الألماني (ه.فنكي) H. Finke الذي عالج في أي شيء/غير وارد؟؟؟؟ موضوع الحروب الصليبية في الوقت الذي كانت فيه أوروبا منشغلة في الحرب العالمية الأولى، فقد صدرت لهذا الباحث دراسة سنة ١٩١٥ في ألمانيا حملت العنوان التالي : - "فكرة الحرب العادلة والحرب المقدسة في الحاضر والماضي"، ثم أتبعت هذه الدراسة بدراسة أخرى بعد عقدين من الزمن وأخذت شهرة كبيرة الا وهي دراسة المؤرخ الألماني (كارل اردمان) Carl Erdmann والتي صدرت سنة ١٩٣٥م، حاملة عنوان "أصل أفكار الحروب الصليبية". ان هذه الدراسات قد ناقشت فكرة الحرب في المسيحية وتطور هذه الفكرة ومشروعيتها، وخلصت آراء هذين الباحثين الى التأكيد – المؤسس على وقائع وشواهد تاريخية – بان فكرة الحروب الصليبية لم تكن فكرة فجائية أو وليدة مؤتمر كليبرمونت وانما تعود بجذورها الى فترة زمنية أسبق استخدمت لاعداد الأرضية لمسميات وتبريرات للحروب، فتطور الأمر من فكرة الحرب المقدسة بمعنى ان الله هو القائد والآمر لهذه الحرب الى مشروعية وعدالة الحرب ضمن سياقات وأهداف معينة، وقد كان ذلك البحث في هذه القضايا يهدف الى تقليص أو ردم هوة التناقض بين ممارسة الحرب أو الدعوة إليها وبين ما ورد في الكتاب المقدس من دعوة لنبذ الحرب والتركيز على دعوات الحب والتسامح. وكان أسقف مايلاند (امبروسيوس Amborosius) (٣٣٩-٣٩٧م) من اوائل الذين نادوا وقالوا بان هناك حربا مشروعة لا تتناقض مع ما ورد في الكتاب المقدس، وان هذه الحرب المشروعة يمكن ان تكون لأسباب سياسية، أو دينية وبخاصة اذا كانت هذه الحرب ضد جماعات من غير المسيحيين.

وتتابعت طروحات ودعوات المفكرين من رجال الدين المسيحي في هذا الإطار حتى ظهرت آراء ودعوات القديس أوغسطين (٣٥٤-٤٣٠م) هذه الآراء التي جعلته أول مفكر مسيحي يضع نظرية للحرب في المسيحية متجاوزاً بطروحاته ما عرف عن الديانة المسيحية منذ بداياتها كديانة مسالمة تستنكر العنف وتعتبره خطيئة يجب ان يكفر عنها اقتداء بقول المسيح عليه السلام : - "إذا ضربك أحدهم على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر". جاء أوغسطين متجاوزاً ذلك من خلال ما ذكره في كتابه The City of God (مدينة اللّه) حيث ركز على مصطلحي الحرب العادلة Just war والحرب المقدسة Holy war، واستخدامه وتفسيره لهذين المصطلحين قاد الى نتيجة أساسية تقوم على مشروعية الحرب وانها - أي الحرب - لا تتعارض بالمطلق مع إرادة اللّه فهي ليست حرباً ضد اللّه، وإنما هي ضرورة من ضرورات بقاء الإنسان المسيحي والذي يشكل بقاءه ضمانة لاستمرار الديانة المسيحية التي هي ضمانة لاستمرار إرادة اللّه!، ثم صاغ اوغسطين ذلك بطريقة ذكية حين أشار على ان هذه الحرب - لتكون كما أشار اليها - يجب ان تكون حرباً دفاعيةً بحيث قاد الى تفسيرات وتبريرات من قبل من يسعى للحرب أو يتورط فيها بتبني ان حرباً دفاعيةً، وهي بذلك حسب فهم اوغسطين حرب مشروعة، بل ان اوغسطين يقول انه في سبيل السلام لا مانع من خوض حرب مشروعة أو عادلة وهذه الحرب بالقطع هي من مسؤليات ومهمات البشر.

ان أفكار Amborosius واوغسطين كانت أساسا جيدا للغرب الأوروربي للبناء عليه، فان هذه الأفكار أو الاساسات أخذت تتطور وتبدو أكثر شمولا خلال القرون اللاحقة متماشية في ذلك مع تطور التاريخ الأوروبي، وعلى ذلك شهد القرنان السادس والسابع الميلاديين قفزة في مشروعية الحرب ضمن اطار الأمبراطورية الرومانية في حروبها ضد الهراطقة، لتتطور خطوة أخرة في عهد البابا نيكولاس الأول ٨٥٨-٨٦٧م، الذي أعلن صراحة وبطريقة أكثر وضوحا من أفكار اوغسطين حيث قال ان الحرب الدفاعية ليست إلا حربا

مشروعة، ان هذا التطور بمشروعية الحرب تعني بعداً خطيراً تمثل في ان عدم المشاركة في هذه الحرب يعتبر خروجاً على الشرعية أو تعطيلا لاقرار شرعية يسعى إليها، وبالمقابل فان من يشارك في هذه الحرب المشروعة يكون قد مارس عملاً واتخذ سبيلاً يتقرب به المؤمن من المسيح.

وهذا قاد الى فهم مؤداه ان المحارب المسيحي يحارب لهدف مبارك ورفيع يوصله لمرتبة خاصة في صفوف المؤمنين وعند الله، وبذلك أصبحت الحرب مجالاً لحصول الفرد أو الجماعة على التوبة والغفران، وأصبح جزاء من يمارس هذه الحرب أو يساعد بها وعليها مضاعفاً بمعنى انه جزاء دنيوي تقرره السلطة الكنسية والسياسية وجزاء رباني يحصل عليه في الآخرة.

من خلال هذه التطورات يمكن اعتبار الدعوة لمؤتمر كليرمونت أو ما قاله البابا اوربان الثاني وما نتج عن ذلك من تطورات لاحقة هي في حقيقة الحال نتاج فترة طويلة من تطوير فكرة الحرب حتى أخذت صفتها الشرعية وأحيطت بهالة من القدسية.

وإذا أخذنا مشروع اوربان الذي دعى إليه في مؤتمر كليرمونت نجد أنه يتلخص في مجمله في بندين يشكلان هدفين رئيسيين ألا وهما حرب ضد المسلمين في الشرق وسلام في الغرب المسيحي، وقد جاء ذلك متساوياً مع ظروف أوروبا في القرن الحادي عشر، هذه الظروف التي ساهمت بكلتيها في تطوير فكرة الحروب الصليبية ونقلها الى الاطار السكاني الأشمل بحيث لم تعد فكرة يتبناها رجل الاقطاع أو رجل الكنيسة أو السياسة بل هي فكرة تستهوي جميع فئات السكان رغم اختلاف منطلق أو أهداف كل جماعة عن الأخرى إلا انها رغم ذلك تصب ضمن تيار واحد شعاره الحرب.

وفي سبيل توضيح بعض جوانب هذا التطور الأخطر في تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، لا بد من الاشارة الى ان هذه الفترة قد شهدت حركة الإصلاح الديني التي بدأت من دير كلوني في شمال فرنسا لتنتشر بعد ذلك في

انحاء مختلفة من أوروبا، مقدمة عدة حلول لتخليص المسيحيين من خطاياهم، ليقود ذلك الى اصلاح نفوسهم، وكان من ضمن هذه الحلول أو الوسائل لذلك هو تشجيع المؤمنين على القيام بالحج الى الأماكن المقدسة ليأتي ذلك مترافقا ومزامنا لمحاولات اعلاء مكانة السلطة البابوية التي بدأت تدعو لمنع العمليات الحربية الداخلية بشكل تطوري تدريجي من منع للحرب لآجال قصيرة (هدنة الرب)، أو لآجال طويلة (السلام الرباني).

ان هذه الأفكار التي أثرت على عقلية الفرد والمجتمع في أوروبا العصور الوسطى جاءت في الوقت الذي كان فيه طريق الحج للأماكن المقدسة تحت سيطرة قوى إسلامية متصارعة سياسيا ومذهبيا كما هو الحال بين السلاجقة والفاطميين، هذه القوى الإسلامية كانت بلا شك مستفيدة من الحج المسيحي ومراعية لاستمراره ضمن ضوابط معينة متغيرة بحسب ظروف هذه القوى الإسلامية أو ظروف وطبيعة الحجاج المسيحيين، ومن ذلك ان القوى الإسلامية كانت تشترط في قوافل الحجيج المسيحي ان لا تكون مسلحة وان كان قد سمح بذلك للمشرفين على هذه القوافل، الا ان هذا الأمر قد أخذ يتطور باتجاه ان هذه القوافل أصبحت قوافل مسلحة بالكامل، وقد يكون سبب ذلك يكمن في اضطراب الأوضاع على طريق الحج كما انه يكمن في تطور فكرة الحج المسلح من وجهة النظر الكنيسة الأوروبية، ونلمح هذا التغير على قوافل الحجيج ما بعد عام ١٠٧٤م، حيث أصبحت قوافل الحجاج المسيحيين التي تشق طريقها الى بيت المقدس أشبه بقوافل عسكرية مدعومة بتشجيع من البابوية، وعلى ذلك فان هذا يمكن اعتباره اعدادا عسكريا بشكل من الأشكال لحرب قادمة بل ان ذلك هو مقدمة للحملات الصليبية قبل انطلاقها بشكل فعلي بعقدين من الزمن.

ويمكننا ربط ذلك بالتطورات في داخل أوروبا ايضا وبخاصة تلك العلاقات بين البابا جريجوري السابق (١٠٧٣-١٠٨٥م) والامبراطور الألماني هنري الرابع (١٠٥٦-١١٠٦م)، وعنينا من هذه العلاقة احدى جوانبها التي كشفت عنها رسالة هذا البابا الى الامبراطور في سنة ١٠٧٤م، حيث يدعو فيها الى حرب

مقدسة ضد المسلمين بشكل خاص لتحقيق هدف مسيحي الا وهو تخليص قبر المسيح من أيدي الكفار (المسلمين).

وهذه التطورات هي بطبيعة الحال مرتبطة بشكل رئيسي بانتشار فكرة الفارس المسيحي Christian knight التي وظفت توظيفا كنسيا يهدف على تأمين السلام للمجتمع المسيحي عن طريق تهذيب الطاقة القتالية للطبقة الاقطاعية الداخلية وتحويل هذه الطاقة بكل عنفها وقوتها الى قنوات أخرى بديلة عن صواع الأمراء مع بعضهم البعض، وفي هذا المجال أصبح رجل الدين المسيحي يتلو الصلوات ويبارك سلاح الفارس الاقطاعي في حفل تدشين ليصبح بعدها الفارس فارسا للمسيح وباسم المسيح، أي انه فارس من مهماته الدفاع عن الكنيسة وعن العالم المسيحي بشكل عام مقابل ضمان الكنيسة له بمكافآت روحية.

ان هذه الأفكار التي بدأت تنتشر في أوروبا عبر مراحل مختلفة ركزت على أهمية الدفاع عن الكنيسة واتباعها وانتقلت بهذه الأهمية من مجال النظرية والفكر الى مجال التطبيق العملي كما هو الحال في نهاية القرن الحادي عشر ابتداء من عهد البابا ليو التاسع Leo IX (١٠٤٩-١٠٥٤م)، الذي بادر بتجهيز جيش للقتال ضد النورمان في جنوب ايطاليا، وقد منح المشاركين في هذه الحملة التي سارت تحت راية البابوية الغفران لخطاياهم على االعتبار ان عملهم مقدس مشروع يخدم الكنيسة المسيحية وهو ما يؤهل المشاركين لجني ثمرات المشاركة في هذه الأعمال المجيدة.

وكذا الحال نجده في زمن البابا الاسكندر الثاني Alexander (١٠٦١-١٠٧٣م) حيث منح صكوك غفران لكل من شارك في حملة قادتها الكنيسة في اسبانيا سنة ١٠٦٤م، وقد شارك في هذه الحملة مجموعات من الرجال العاديين من الطبقات العامة للشعب مدفوعين بتأثير الدعاية للكنيسة والحماس الديني المقترن بفوائد الغفران.

ان هذه التطورات التي جعلت فكرة الحرب المقدسة ضد الكفار واعداء المسيح تكتسب شعبية لدى العامة قد أعطت الفرصة لبعض البابوات لاستغلال ذلك لتوجيه دعوات الحرب شد اعداء المسيحية وبخاصة ضد المسلمين في الشرق، وقد كان البابا جريجوري السابع Gregor VII (١٠٧٣-١٠٨٥م)، أفضل من أستغل ذلك مستفيداً من نتائج معركة ملازكرت الشهيرة (١٠٧١م)، حيث دعى الى حمل السلاح والتضحية بالانفس والأموال من قبل مسيحي غرب أوروبا في سبيل تحرير اخوانهم المسيحيين الموجودين في الشرق والذين كانوا يتعرضون لاضطهاد الأمة الكافرة واعداء المسيح (المسلمين).

ان دعوة البابا جريجوري كانت تتجاوز حدود انقاذ الدولة البيزنطية من نتائج معركة ملازكرت الى حد دعوة المشاركين في هذه الحملة الى المتابعة والسير للوصول الى القدس في سبيل تحقيق هدف أكبر الا وهو انقاذ القبر المقدس من أيدي الكفار (المسلمين)، ان هذه الدعوة والمحاولة لم تحقق نتائج ملموسة بسبب أوضاع داخلية أوروبية ومنها صراع هذا البابا مع امبراطور المانيا، رغم ذلك فان دعوته ومحاولته كانت مجالاً للاستغلال الأمثل من قبل البابوات الذين جاءوا من بعده، وكانت أولى ثمار هذا الاستغلال هو محاولة جنوب ايطاليا استرجاع صقلية من أيدي المسلمين، وكذلك ما حصل عام ١٠٨٧م حيث شكلت مدن بيزا وجنوه وأمالفي حملة مشتركة تحمل راية البابا توجهت ضد تونس.

ولقد تابع البابا اوربان الثاني (١٠٨٨-١٠٩٩م) هذه السياسة التي مهد لها من سبقه، وقدر لهذا البابا ان يستغل ذلك استغلالاً كبيراً تمثل في انه نقل أفكار من سبقه من مجرد أفكار أو محاولات جزئية ومحدودة الى واقع عملي قدر له ان يدوم لقرون لاحقة ضمن حروب عرفت بالحروب الصليبية والتي ارتبطت باسم هذا البابا والذي قدر له ببراعة فائقة ان يخطو خطوة جديدة في مؤتمر كليرمونت حيث استطاع الجمع بين فكرة الحج للأراضي المقدسة وفكرة الحرب، وقد جاء ذلك من ادراكه لمدى اهتمام المسيحيين الغربيين بالحج الذي يحقق لهم الغفران من

الخطايا، ونجح في دمج ذلك بفوائد روحية ومادية ضمن اطار حرب مقدسة ضد المسلمين.

لقد وجه اوربان في خطبته نداء الى فرسان المسيح للانطلاق الى الشرق بهدف تحرير الخوانهم المسيحيين من اضطهاد الكفار وعبدة الأوثان (كما كان يسمى المسلمين) وركز على ان تحقيق هذا الهدف لا يكون إلا بالسيطرة على الأراضي المقدسة واعادتها الى سيطرة المسيحيين، ان هذه الدعوة قد أثرت في نفوس الحاضرين لخطابه في كليرمونت وحركت فيهم الحماس الديني والشعور بالوحدة بين الأوروبيين على اعتبار انهم بغض النظر عن طبقاتهم الاجتماعية والسياسية وبلدانهم يشاركون جميعاً في مهمة مقدسة ارادها اللّه، وعلى هذا جاءت صيحات الموجودين في المؤتمر مؤكدة لهذا المعنى وهي عبارة Deus voit انها مشيئة الله.

ان الاستجابة الشعبية لنداء اوربان فاقت توقعاته، وأثار نداءه جميع الطبقات في المجتمعات الأوروبية واشتركت فئات البسطاء الذين تحركوا بدافع من الفروسية المتمثلة بالرغبة القوية لخدمة السيد المسيح وحمل الصليب والدفاع عن الكنيسة وتحرير المناطق التي نشأ وترعرع فيها السيد المسيح.

ولعل حملة بطرس الناسك وقيادته لآلاف المتحمسين غير المقاتلين وغير المنظمين الذين ساروا برفقته الى الشرق دونما استعدادات كافية كانت تعبيراً عن هذا الحماس الديني االشعبي الذي صور لهم انهم سينتصرون على أعدائهم بإرادة الرب لأنهم يحاربون من أجله، وفي المقابل لا بد من ان هذه الاستجابة الفورية والحماسية لم تكن بأي حال من الأحوال أحادية السبب ولحظية الانبثاق وانما هي ترجمة لاعداد نفسي وديني منذ أيام المبروسيوس.

ان انطلاق هذه الجموع الصليبية من حملة بطرس الناسك والحملة الأولى جاءت ايضاً وفي أذهان القائمين عليها أفكاراً مشوشةً ومشوهةً عن أعدائهم، حيث ان معلوماتهم عن االإسلام والأوضاع السياسية في العالم الإسلامي تختلط فيها

الأسطورة والخيال مع بعض المعلومات التي جرى تحريفها عن الإسلام وأهلـــه، ولذلك نجد ان الكتابات التاريخية الغربية قبل واثناء القرن الحادي عشـــر رغـم تأريخها للحرب بين المسلمين والمسيحيين في اسبانيا وايطاليا لكنها لم تشمل ابـــداً أية اشارات تدل على توفر معرفة بالإسلام حتى ان اسم النبي محمـــد (ص) لـم يظهر في أي مصدر فرنسي أو أنجليزي أو ألماني في هذه االفترة، وان الأفكـــار التي كانت سائدة في أوروبا في هذا القرن كـــانت أســاطير مصبوغـة بـالكره والتعصب والجهل تدعمها روايات متناقضة مليئة بالخيال كان رواتـــها الحجـاج المسيحيون، كما انتشرت في أوروبا مثل هذه الأفكار عن طريق بعض الملاحـــم مثل ملحمة رولاند، مع بعض المعلومات من مصادر بيزنطية واســبانية بحيـث شكلت خليطاً عجيباً من الروايات، ولكن جمع بين هـذا الخليـط العجيـب نقـاط اشتراك حول الإسلام وتصويره على انه ديانة منشقة عن المســيحية وان محمـداً (ص) لم يكن في نظر هذه االروايات والملاحم أكثر من بطريرك مســيحي قـام بتشكيل ديانة جديدة قائمة على الاباحية والانحلال الخلقي، كما أشـــارت ملحمـة رولاند على ان المسلمين يعبدون الأوثان ومن ضمن آلهتهم المعبودة محمد وابولو ومارس، وان هؤلاء (المسلمين) برابرة متوحشون، وانهم في كل هـذه الصفـات يمثلون أعداء الله وأعداء للمسيحيين.

ان كل ذلك كان ضمن اعداد المسرح الأوروبي لحرب طويلة مشـروعة ضد المسلمين، وفي ضوء هذا الاعداد الديني والنفسي والنفعي يمكن فهم مجريـلت هذه الحرب وقسوتها وكيف وصل الأمر بالمحارب الصليبي الى رؤيـــة ان قتـل المسلم تكفير لخطايا وتقر من الله إضافة الى ما يعود ذلك عليه بمنافع دنيوية مادية سيحصل عليها من سيطرته على الشرق او منافع مادية سيحصل عليها في البلـد الذي نظم هذه الحروب. على ان ذلك بمجمله لا يعني بأي شكل من الأشكال بـان هذه الحروب الصليبية كانت أحادية السبب الكامن في أوروبا وجهود الكنيسة فيـها بل هي نتاج كم معقد من الأسباب كما هي نتاج تراكم الأحداث عبر فترة زمنيـــة طويلة الى ان وصلت الى نقطة الانفجار بفعل عوامل وأسباب مجتمعـــة سياســية

منها اقتصادية ومنها دينية واجتماعية خاصة بأوروبا وكذلك عوامل متعددة خاصة بالشرق الذي تعرض للغزو.

وبعد فان المهمة الثانية لهذا البحث هي في معالجة بعض المواقف وردود الفعل التي تبناها أو صدرت عن الطرف الذي تعرض للغزو الا وهو الشرق الإسلامي وموقفه من الحملة الصليبية الأولى.

٢- الحملة الصليبية الأولى ورد الفعل الإسلامي : -

بعد أن استعرضنا تطور فكرة الحرب في المجتمع الأوروبي، هذا التطور الذي قادته الكنيسة ووظفت احدى نتائجه بتسيير حملات عسكرية متعددة الى مناطق العالم الإسلامي، هذه الحملات التي كان تأثيرها أبعد وأشمل من حيزها الزماني (٤٩٠-٦٩٠م) وكذلك الحال كان تأثيرها ممتداً في الحيز الجغرافي ليشمل الشرق والغرب معاً، ان مهمة هذا البحث لا يقصد بها ان تغطي هذين الاطارين الجغرافي والزماني ولا بحث التأثيرات الهامة في هذين الاطارين، ان مهمة هذا البحث ستكون مقتصرة على رصد وتتبع موقف وردة فعل القوى الإسلامية على قدوم الحملة الصليبية الأولى.

ان المتتبع للمصادر العربية يجد صعوبة في رصد رد الفعل الإسلامي على قدوم الحملة الصليبية الأولى قبل وصول هذه الحملة الى انطاكية، حيث ان الحديث عن تقدم الجيوش الصليبية يبدأ في هذه المصادر مع سرد أحداث سنة ٤٩٠هـ، وفي هذا الاطار لا تشير ايضاً هذه المصادر الى أصول الفرنجة أو أهدافهم أو الأسباب التي دفعتهم بالتوجه الى مناطق الشرق، أي ان هذه المصادر لا تشير الى أسباب حقيقية لهذه الحملة، وأبن الأثير في كتابه الكامل ربما شكل استثناء حين ربط بين قدوم جيوش الحملة الصليبية الأولى الى مناطق الشرق بالفرنجة في اسبانيا. في حين يشير أبن القلانسي الى حالات القلق التي انتابت الناس من تقدم القوات الفرنجية "في هذه السنة (٤٩٠هـ). كان مبدأ تواصل

الأخبار بظهور عساكر الفرنج من بحر القسطنطينية في عالم لا يحصى عدده كثرة وتتابعت الأنباء بذلك فقلق الناس لسماعها وانزعجوا لاشتهارها.

ويضيف أبن القلانسي اشارة الى أن بعض القوى الإسلامية حاولت التصدي لهذا الخطر بحكم قربها الجغرافي من مناطق تقدمهم، كما حصل من موقف ابناه؟؟؟؟ الملك داود بن سليمان أبن قتلمش الذي واجه تقدم الفرنجة باعداد من التركمان ولكن مجهوداته فشلت وتعرض للهزيمة من قبل القوى الفرنجية.

وفي مجال المصادر اللاتينية نجد كماً هائلاً من المعلومات توضح موقف المسلمين الأتراك من جيوش الحملة الصليبية الأولى كما انها تشير الى نتائج هذا الصراع العسكري بين جيوش الحملة الصليبية الأولى وجيوش الأتراك السلاجقة في آسيا الصغرى، وإضافة الى المعلومات عن هذا الصراع بشقه العسكري فان هذه المصادر تزودنا بمعلومات تعكس لنا تصور الفرنجة المبكر للمسلمين بشكل عام وللأتراك بشكل خاص.

بعد ان قطعت جيوش الحملة الصليبية الأولى مضيق البسفور كان هدفها الأول والرئيسي هو الأستيلاء على مدينة نيقية التي كانت تمثل عاصمة دولة سلاجقة الروم ومركز زعيمهم قلج ارسلان، وكان معظم سكان هذه المدينة من المسيحيين مع تواجد حامية عسكرية تركية فيها، ان هدف الصليبيين من السيطرة على نيقية سيسهل مهماتهم اللاحقة.

وقد وصلت القوات الصليبية الى هذه المدينة في رجب ٤٩٠هـ-١٠٩٧/٥/٦م، وقد كان قائد هذه المدينة ومعظم قواته العسكرية بعيداً عن نيقية حيث ان قلج ارسلان كان يخوض حرباً مع الدانشمديين في مناطق ملاطية، وهكذا تجمعت لدى القوى الصليبية امكانيات تحقيق النصر والسيطرة على نيقيه حيث انهم قد اتفقوا مسبقاً مع الامبراطور البيزنطي واستعدوا باعادة نيقيه بعد السيطرة عليها الى السيطرة البيزنطيه مما ضمن لهم مساعدة عسكرية بيزنطية، كما انهم استفادوا من عنصر المباغتة بوصولهم لنيقيه في الوقت الذي كانت قواتها مع قلج

ارسلان بعيدة عنها. وهكذا خضعت المدينة لحصار مشترك بيزنطي صليبي أفقدها القدرة على الصمود والمقاومة وبخاصة بعد ان فشلت مجهودات قلج ارسلان الذي عاد من حربه مع الدانشمد لانقاذ نيقيه حيث تعرض لهزيمة في شعبان ٤٩٠هـ/أيار ١٠٩٧م، وهكذا استسلمت نيقيه للقوات البيزنطية بعد اتفاق مع سكانها وأعيدت لسيطرة الدولة البيزنطية بناء على اتفاق مسبق بين الامبراطور البيزنطي وقادة الحملة الصليبية الأولى.

وبعد سيطرة القوات البيزنطية على المدينة تم السماح لعائلة السلطان قلج ارسلان وأتباعه بالخروج من المدينة والتوجه الى القسطنطينية حيث تم افتداء البعض وأعيدت أسرة السلطان دون دفع فدية، ان هذا التصرف من قبل الامبراطور البيزنطي مع المسلمين أثار استغراب بعض قادة الحملة الصليبية الأولى واعتبروا هذه المعاملة الحسنة والجيدة مع المسلمين هي خيانة لهم وخيانة للمسيحيين بشكل عام. / توثيق ؟؟؟؟؟

واذا حاولنا معرفة أسباب الهزيمة التي لحقت بقلج ارسلان وجعلته يخسر نيقيه بدءاً وغيرها لاحقاً، نجد ان هذه الأسباب لا تخرج عن سوء تقدير قلج ارسلان لخطورة التقدم الصليبي والتي تمثل في انه تحرك بقواته العسكرية بعيداً عن عاصمته ليدخل في صراع مع قوة إسلامية هي قوة الدانشمديين، ومنها أيضاً ثقة قلج ارسلان غير الواقعية بقوته وسوء تقديره لقوة الآخرين وهنا نجد ان قلج ارسلان كان قد اطمأن الى نتائج انتصاره السابق على حملة العامة بقيادة بطرس الناسك مما جعله لا يعطي كبير احتراز أو اهتمام للقوة الصليبية في الحملة الأولى، ظناً منه انها لا تخرج عن ان تكون شبيهة بقوة حملة العامة، وثالث هذه الأسباب تكمن مرة اخرى في سوء تقدير الموقف السياسي والعسكري بين بيزنطة وقوات الحملة الصليبية الأولى فربما راهن ان الخلافات بين الطرفين ستكون عائقا أمام تقدمهم العسكري تجاه الأراضي السلجوقية، وربما كان رابع الأسباب هو ان سكان نيقيه وغالبيتهم من المسيحيين قد ساهموا في ارجاع المدينة لبيزنطة وربما أضعفوا دفاعاتها اثناء الحصار البيزنطي الفرنجي لها.

لقد كان للانتصار الصليبي في نيقيه اثار بعيدة المدى على مسير جيوش الحملة الصليبية الأولى حيث كانت نتائج هذه المعركة دفعة قوية من الحماس الدافع للمزيد من التقدم في الأراضي الإسلامية، كما كان هذا النصر اغراء لبيزنطة لمزيد من السيطرة على اراضي كانت تابعة لدولة السلاجقة، إضافة الى ان هذا النصر الصليبي قد دفع المترددين من القوى الصليبية الى التقدم بمساعدات للقوات الصليبية ليكون لها منافع من الانتصارات الصليبية وخير مثال على ذلك ما قامت به المدن الإيطالية في هذا الصدد.

لقد كان الهدف الثاني للصليبيين بعد نصرهم في نيقيه هو التقدم للسيطرة على مواقع استراتيجية وكان منها ضورولیوم (اسكي شهر الحالية) وفي طريق سيرهم لهذا الهدف نجد ان القوات الصليبية تنقسم الى قسمين رئيسيين الأول بقيادة بوهمند كونت تارنتو، وتنكرد وروبرت أمير نورماندي واتجهوا غرباً نحو وادي جورجون، والقسم الثاني كان تحت قيادة مندوب البابا الأسقف ادهمار وتحت قيادة عسكرية لغودفرى والكونت رايموند السانجيلي، في هذا الوقت الذي كانت القوى الصليبية تتقدم حاول قلج ارسلان التعويض عن هزيمته في نيقيه فعالج أحد أسبابها الا وهو تحسين علاقته مع أمير الدانشمند حيث تصالح معه واتفقا على توحيد جهودهما لمواجهة جيوش الحملة الصليبية الأولى، وقد تم هذا الاتفاق في حزيران سنة ١٠٩٧م، وحاول قلج ارسلان وحليفه الأمير الدانشمندي استغلال انقسام القوة الصليبية الى فرقتين، فحشد قلج ارسلان قواته وتصدى لاحدى اقسام الجيش الصليبي الذي يقوده بوهمند واستطاع ان يحقق عليه انتصاراً وقتياً غير ان سرعة الانجاد الصليبي غيرت النتيجة وأصبحت هذه المحاولة هزيمة قاسية مجدداً لقلج ارسلان وحليفه غازي بن الدانشمند وكان هذا النصر الصليبي في ١٠٩٧/٧/١م، هذا النجاح قاد الجيش الصليبي للسيطرة على موقع استراتيجي هام آخر الا وهو ضورليوم، ورغم اختلاف المصادر في تفصيل مجريات المعارك التي دارت عند وادي جورجون وضورولیوم الا انها (المصادر) تتفق على أهمية هذا النصر الذي حقق فوائد مزدوجة حيث منح هذا النصر طريقاً آمناً للفرنج في مناطق معادية

وقادهم الى مزيد من السيطرة على اراضي جديدة، ومن ناحية ثانية عزز هذا النصر مفهوم الشجاعة والقوة اللتان يمتلكهما الجندي الصليبي، وقد أسهمت المصادر اللاتينية والأرمنية بالحديث عن هذا الموضوع، كما ان هذا النصر عمق ميدانيا ولو بشكل مؤقت امكانية التعاون والإسناد العسكري بين القوات الصليبية كما تمثل في انجاد قوات غودفري لقوات بوهمند عند وادي جرجون، كما ان هذه المعارك أوجدت قناعة صليبية مؤداها ان نصرهم مرهون بوحدتهم كما هو مرهون بفرقة اعدائهم وعملوا وفق هذه الاستراتيجية حيثما أمكن ذلك، وفي الاتجاه الآخر نجد اشارات تدل على قوة وشجاعة الأتراك في مواصلة الجيش الصليبي ولكنها شجاعة وقوة ينقصها التنظيم والعمل المشترك. وتأكيداً على شجاعة الأتراك المسلمين نجد ان مؤلف الـGesta يقول : - لو كان هؤلاء الأتراك من المسيحيين لكانوا أفضل الشعوب، بل نراه يرجع ميزة الشجاعة عند الأتراك الى ان أصولهم وأصول الفرنجة تعود الى نسل الطرواديين. وعلى صعيد نتائج هذه المعارك نجد انها أفسحت المجال واسعاً أمام بيزنطة لإستعادة أراضي جديدة كانت بيد القوى السلجوقية، كما ان القوات الصليبية استفادت من دروس هذه المعارك بحيث ركز على منع أي قوة صليبية من مغادرة أو مفارقة بقية الجيوش الصليبية تجنباً لخسائر وتجنباً لمباغتة وكمائن الطرف الإسلامي.

اما النتائج على الصعيد السلجوقي فان هذه الهزائم قد أضعفتهم الى حد كبير أو حال دون امكانية التصدي الناجح لتقدم الزحف الصليبي كما ان الطرف السلجوقي لم يعد قادراً على مد يد العون الحقيقي للقوى والمناطق الإسلامية الأخرى كما حصل بعد ذلك حول انطاكية.

ويصور صاحب الـGesta الوضع السلجوقي بشكل يوحي بفقدانهم لامكانية المواجهة الصليبية، فيقول : - "بدأ الأتراك بالفرار في آسيا الصغرى باحثين عن مناطق آمنة خوفاً من الفرنج، ومعهم (السلاجقة) قائدهم قلج ارسلان الذي فقد كنوزه وعاصمته والتقى اثناء فراره بقوات إسلامية تقدر بعشرة آلاف مقاتل كانت قادمة للانجاد ولكن هذه القوة فوجئت بالحالة التي كان عليها قلج

ارسلان، فسأله أحدهم : - أيها الرجل التعيس لماذا تبدو على وجهك علامات الخوف والرهبة، فأجابهم باكياً بان الفرنجة أقوى واعدادهم أكثر مما يتصور، بحيث ان من يراهم يظن بان الجبال والوديان والسهول والهضاب قد امتلأت بهم، وعندما سمع (العرب) تراجعوا وتفرقوا، وأصدر قلج ارسلان أوامره لجنوده بالانسحاب من المدن والقلاع الواقعة على طريق الفرنجة وبدأ سياسة نهب القوى وتخريب الآبار وتدمير أي شيء يمكن ان يستفيد منه الفرنجة مما جعل الفرنجة يجدون صعوبة في المقام في هذه المناطق لصعوبة توفير ضروريات الحياة.

وهكذا نجد ان رد الفعل الأولي للقوى الإسلامية جاء من السلاجقة الأتراك وقد أتسم هذا الامر بسوء تقدير سلجوقي لقوة الصليبيين مما أصاب القوة الإسلامية بالارتباك والعجز عن المواجهة الفاعلة الأمر الذي ترك أثراً سلبياً على مجمل ردود الفعل من القوى الإسلامية الأخرى في مناطق خارج الحدود الجغرافية لآسيا الصغرى.

بعد هذه الأحداث والانجازات الصليبية كان الهدف الرئيسي التالي للقوات الصليبية هو الوصول الى انطاكية، وفي طريقهم لتحقيق هذا الهدف وصلت القوات الصليبية الى منطقة انطاكية الصغرى (يلفاك الحالية) حيث أنقسم الجيش الصليبي مرة أخرى الى قسمين بعد ان سيطرت قواتهم دون مقاومة تذكر على مدن قونية وهرقلة وقد واجهوا صعوبات تموينية شديدة ولكنهم تمكنوا من تنظيم امورهم والتغلب على هذه الصعوبات لعجز القوى السلجوقية عن مواجهتهم وكذلك لتلقيهم مساعدات تموينية وارشادية هامة من قبل السكان الأرمن الموجودين في مناطق قونية، وقد مكنت هذه الانجازات الصليبية تحقيق هدف استراتيجي وهو اخضاع مناطق شمال وغرب انطاكية مما سيسهل عليهم مهمة محاصرة انطاكية وفي حقيقة الحال ان القوى الصليبية قد واجهت مشكلات عدة في هذه المناطق، ويعبر ستيفن ونسيمان عن هذه الصعوبات والانجازات بقوله : - "ان هذا (وصول الفرنجة الى محيط انطاكية) يعتبر انجازاً عظيماً اذا أخذنا بعين الاعتبار كثرة عدد الفرنجة غير المقاتلين وتنقلهم في أراضي مفتوحة محاطة بالأعداء من كل جانب

تحت أشعة الشمس المحرقة، وعلى هذا الأساس فانه بدون الحماس الديني القوي والأيمان الراسخ لم يكن ممكناً لهؤلاء المقاتلين تحقيق كل هذا الانجاز".

وفي حقيقة الحال ان الانجازات الصليبية لم تكن نتيجة لشجاعة وايمان الفرنج فقط وانما لضعف القوى الإسلامية التي كان يفترض فيها ان تواجه هذا الخطر بشكل مشترك وهذا ما لم يحصل، إضافة الى ان القوى الصليبية وحتى هذه المراحل كانت قد تلقت مساعدات هامة من الدولة البيزنطية الراغبة باستعادة العديد من المناطق، إضافة الى ما قدمه بعض سكان هذه المناطق وخاصة الأرمن من مساعدات للصليبيين تمثلت بتزويدهم بالمؤن وحيوانات النقل اضافة الى تقديم الادلاء والمرشدين لتقدم القوات الصليبية.

وفي طريق التقدم الى انطاكية أنقسم الجيش الصليبي الى قسمين كان الأول منه بقيادة مندوب البابا الأسقف ادهمار ومعه غودفري ورايمونه وبوهميذ، أما القسم الثاني فكان بقيادة بولدوين وتانكرد، وهذا الانقسام بين صفوف قادة الجيش الصليبي متعدد الأسباب، منها رغبة بعض القادة الصليبيين بتحقيق انجازات خاصة بهم في هذه المناطق، ولرفض البعض منهم نتائج هذا التقدم الصليبي الذي كانت معظم نتائجه عودة العديد من المناطق للسيطرة البيزنطية، وقد نتج عن هذا الانقسام الصليبي ان استطاعت احدى فرق من الجيش بقيادة بولدرين من السيطرة على منطقة الرها بعد الاتفاق مع حكمها الأرمني ثوروس وبذلك استطاع بولدرين ان يؤسس أول امارة صليبية في هذه المنطقة ولم يعد يعنيه الأمر بمتابعة الزحف مع بقية القوات الصليبية.

واصلت بقية القوات الصليبية التقدم باتجاه انطاكية واستطاعوا البدء بحصارها اعتبارا من ١٠٩٧/١٠/٢٢م – ٢٩ شوال ٤٩٢هـ.

في ظل هذه الأوضاع حاول حاكم انطاكية وهو ياغي سيان تدارك الأمر والعمل على مواجهة القوى الصليبية، واتخذ في سبيل ذلك عدداً من الاجراءات منها ما هو خاص بانطاكية حيث عمل على زيادة تحصيناتها كما عمل محاولة

لاخراج السكان النصارى منها خوفاً من تآمرهم مع القوى الصليبية المحاصرة لانطاكية، كما انه عمل ولو بشكل متأخر على الاتصال ببعض القوى الإسلامية طالباً منها الانجاد والمساعدة وفي هذا السبيل أتصل مع حاكم دمشق دقاق بن تتش وحاكم الموصل كربوغا وحاكم حمص جناح الدولة.

أستمر الحصار الصليبي لانطاكية لمدة ثلاثة شهور مع استمرار الاشتباكات المتفرقة بين القوات الصليبية وقوات انطاكية قبل ان تأتي أية نجدات إسلامية لأنطاكية، وقد جاءت أولى هذه النجدات من حاكم دمشق وحاكم حمص وقد اشتبكوا مع القوات الصليبية في منطقة البارة جنوب شرق انطاكية ولم تتمكن القوى الإسلامية من تحقيق نصر يذكر في هذه الموقعة، وكان من نتائجها ان عادت هذه القوة الإسلامية الى دمشق وحمص دون ان تقدم مساعدة لانطاكية، ثم تلى ذلك محاولة مساعدة وكانت هذه المرة من منطقة حلب وحاكمها رضوان وقد فشلت هذه القوة في انجاد انطاكية بل ان القوة الصليبية استطاعت السيطرة على حصن حارم بعد الاشتباك مع قوات حلب.

إزاء هذه التطورات أستمر حصار الفرنجة لانطاكية على الرغم مما عانوه من ظروف صعبة أوصلتهم الى حد المجاعة وهروب بعض الجماعات الصليبية مثل بطرس الناسك، وقد افاضت المصادر اللاتينية في وصف الحالة البائسة التي كان عليها الفرنج وهم محاصرون لانطاكية، ان هذه الأوضاع لم تستغل جيداً من قبل القوى الإسلامية، رغم تكرار محاولات ياغي سيان الاستنجاد بالقوى الإسلامية، وقد لبت بعض هذه القوى نداءات الاستغاثة حيث جاءت قوات من حلب ومن ديار بكر بقيادة سلمان بن ارتق كما جاءت بعض النجدات من حماة، واستطاعت هذه القوات تحقيق بعض الانجازات مثل التمكن من استعادة حارم التي سبق ان سيطر عليها الصليبيون، رغم ذلك فلم تكن هذه القوات الإسلامية قادرة على تقديم عون حقيقي للمحاصرين في انطاكية.

ان هذه التطورات التي أدت الى انتصار الصليبيين على بعض القوى الإسلامية في أكثر من موقع وأكثر من معركة كانت قادرة على رفع معنويات

الجيش الصليبي، مما دفعه لمزيد من تشديد الحصار على انطاكية ومنع وصـــول الامدادات إليها، هذا في الوقت الذي كان فيه ياغي سيان وسكان انطاكية مصممون على الصمود وبخاصة حين تناهى الى اسماعهم قدوم نجدة إسلامية بقيادة كربوغـا حاكم الموصل.

في هذا الوقت أيضاً تحدثت الروايات عن وصول سفارة فاطميـــة الـــى معسكر الفرنجة المحاصرين لانطاكية، مصادرنا الإســـلامية تشـير الـــى ذلـك باقتضاب، وكذلك المصادر اللاتينية المعاصرة، وربما كان وليم الصوري أكـثرهم تفصيلاً حول هذه السفارة، وبرغم عدم معاصرته للاحداث الا أنه أعتمـــد علـــى وثائق ومعلومات أولية عن الحملة الصليبية الأولى مما يعطي روايته قدراً جيـــداً من المصداقية، وفي حقيقة دراسة أوضاع صراع القوى السياسية الإسلامية آنـذاك لا يستغرب المرء تعاون قوة إسلامية ضد أخرى وخاصة مـــن قبـل الفـاطميين (الشيعة) ضد اعدائهم السلاجقة (السنة)، ورغم ان ذلك يعتبر قصـــر نظـــر مـــن الفاطميين في فهم طبيعة الحركة الصليبية الا انهم ضمن هذا وجدوا أن لا مانع من الاستنجاد بالصليبيين أو تقديم العون لهم ما دام الأمر يؤول الى ضعف منافســـهم وعدوهم السلاجقة، وتعبيراً عن هذا يقول وليام حول السفارة الفاطمية : - "الأنباء التي وردت للحاكم الفاطمي عن هزيمة قلج ارسلان على أيدي الفرنجة أســـعدته، حيث أعتبر خسارة الأتراك مكسباً له، ومشاكلهم (السلاجقة) مصدر سلام وهـدوء لهم (للفاطميين) وعندما علم (الحاكم الفاطمي) بحصار الفرنجة لانطاكية خشـي ان يصيبهم التعب ويتخلون عن الحصار فأرسل مندوبين من حاشيته ليتوسلوا للفرنجة بان يواصلوا حصار المدينة، وقد أمر السفراء بالتأكيد للفرنجـة وتطمينـهم بـان السلطان (لخليفة الفاطمي) سيساعدهم عسكرياً بكافة الوسائل، ومن المـــهام التـــي أنيطت بالسفراء محاولة كسب ود وثقة قادة الفرنجة وعقد معاهدة صداقة معـــهم، وعند وصول السفراء أستقبلهم الفرنجة بالترحاب وبصورة مشـــرفة، وتـم عقـد اجتماعات معهم. وقد أعجب السفراء بشجاعة الفرنجة وقدرتـــهم علـــى تحمـل

الصعاب، وكثرة اعداد جيوشهم وقد امتلأت قلوبهم (الوفد الفاطمي) بالقلق والحذر من هذا الجيش الضخم حيث انه كان لديهم شعور لما سيحدث في المستقبل.

ان هذه المعلومات عن السفارة الفاطمية لا تشير الى طبيعة الاتفاق بين الطرفين الفاطمي والصليبي ولكنها تشير على ان الدولة الفاطمية كانت المبادرة للاتصال بالصليبيين، في حين يرى رنسيمان بان بيزنطة كانت صاحبة الفكرة حين كانت قد اقترحت على الصليبيين بتوثيق علاقاتهم مع الفاطميين من منطلق معرفتها بالكراهية بين الأتراك والفاطميين واستعداد الفاطميين للتحالف مع الفرنجة ضد السلاجقة، كما يشار على ان الفاطميين كانوا أصحاب اقتراح قدم للصليبيين يقضي بالعمل على اقتسام السيطرة على بلاد الشام بحيث يكون شمال الشام للصليبيين وجنوب الشام بما فيها فلسطين للفاطميين، ويتابع رنسيمان بالقول بان هذا الاقتراح لم يلاق قبول الصليبيين ولكن ذلك لم يؤثر على حُسن استقبال المبعوثين الفاطميين ولم يمنع من ارسال مبعوثين من قبل الفرنجة للدولة الفاطمية، في حين يرى حملتون جب بان الفرضية التي تذكر بان الافضل الفاطمي تفاوض مع الصليبيين على اقتسام بلاد الشام تتعارض مع قيام الدولة الفاطمية بسجن سفراء الصليبيين الذين اسلوا للقاهرة.

في هذا الوقت بدأ السلاجقة يهتمون بمجريات الأمور حول انطاكية وبدأوا يدركون خطورة الموقف بعد خسارتهم لنيقية وضوروليوم والرها وغيرها. وفي سبيل تلافي أخطار أكبر نرى تحركاً للسلطان السلجوقي الذي بادر بارسال قائد جيشه كربوغا أمير الموصل في ارسالية الهدف منها محاولة حل الخلافات بين الأمراء في الشام للعمل معاً على مقاومة الخطر الصليبي، وان هذا التحرك يمكن اعتباره أول خطر حقيقي يتعرض له الصليبيون، ويشير مؤلف الـGesta على ان ياغي سيان كان قد أرسل سفراء لسلطان فارس السلجوقي طالباً منه المساعدة في رفع الحصار عن انطاكية عارضاً عليه اعطائه انطاكية وأي شيء يطلبه، وربما كان من نتائج ذلك تمكن كربوغا من جمع قوات شملت قوات دمشق وبني أرتق في القدس واعداد متطوعة من العرب والأتراك بهدف انقاذ انطاكية.

لكن هذه القوات وصلت لانطاكية بعد فوات الأوان وبعد ان تمكنت القوات الصليبية من السيطرة على المدينة، حيث تشير المصادر على ان من أسباب سقوطها بيد الصليبيين هو تآمر وخيانة أحد مساعدي ياغي سيان وهو المدعو فيروز الذي تآمر مع بوهيمند أحد قادة الفرنج وسهل لهم مهمة فتح الأبواب مما أفسح المجال لدخول جنود الصليبيين الى المدينة مما أدى الى هرب ياغي سيان، ويصور لنا صاحب الـGesta صورة الوضع بعد سقوط انطاكية من خلال حديث أورده وقد دار بين كربوغا وياغي سيان، حيث يقول ياغي سيان : - "أيها الأمير المنتصر أنا أستجدي مساعدتك حيث ان الفرنجة حاصرونا واستولوا على انطاكية وهم يسعون لطردنا من الشام وحتى خراسان، وهم قد حققوا كل شيء قد خططوا له. وخطوتهم التالية ستكون قتلي وقتلك أنت وجميع قومنا". ثم أشارت المصادر بعد ذلك الى النهاية المأساوية لياغي سيان بعد هروبه من انطاكية.

أما الدور الذي قام به كربوغا فانه قد وصل بعد سقوط انطاكية وجاء برفقته قوات إسلامية من مناطق مختلفة وعسكروا خارج أسوار المدينة وتمكن من استلام قلعة انطاكية من ابن ياغي سيان يضعها بعد ذلك تحت إمرة أحد قادته المدعو احمد بن مروان. وبدأ كربوغا يشدد الحصار على المدينة آملاً بالحصول على استسلام ممن دخلها من القوات الفرنجية، وفعلاً لقد أثر حصار كربوغا على القوات الفرنجية داخل المدينة، وتمكن كربوغا من أسر مجموعات من القوات الفرنجية التي كانت تخرج بحثاً عن مواد تموينية، وقد قاده ذلك بحسب قول وليام الصوري الى الاستهزاء بهذه القوات وأسلحتها بحيث تأكد له ان النصر عليهم سيكون سهلاً، ويورد وليم كلاماً أعتبره صادراً عن كربوغا في رسالة منه الى الخليفة العباسي حيث يقول : - "سنقضي على هؤلاء الكلاب القذرين"، ويقول وليم : - "ان هذه الكلمات التي ظن كربوغا انها ستجلب له المجد أصبحت فيما بعد سبب دماره حيث انه هزم من جيش ضعيف حسب وصفه وبذا كان عاره ومرارته أكبر.

بعد ذلك تنتقل المصادر اللاتينية بالاشارة الى الأوضاع المأساوية التي آلت اليها حال الفرنجة في داخل انطاكية، حتى عادت اليهم الروح المعنوية بعد اكتشافهم للحربة المقدسة بجوار احدى كنائس انطاكية وان اكتشافها أكد لهم انهم سينتصرون على اعتبار ان ذلك دليل على ان الله يحارب معهم، وازاء هذه التطورات رأى الفرنجة ان خير وسيلة للدفاع عن أنفسهم والتخلص من الوضع الصعب الذي يعيشون هو بمهاجمة معسكر المسلمين ومباغتتهم بعد ان علموا عن بعض الخلافات التي حصلت في معسكر كربوغا، وحاولوا استغلال جميع الفرص فبدأوا بمراسلة كربوغا وارسال الوفود اليه بهدف رفع الحصار عن انطاكية ولكن هذه المحاولات لم تلاق قبولاً من الجيش الإسلامي، وحينها قرر الفرنجة بعد تنظيم قواتهم ان يخرجوا على شكل افواج لملاقاة عدوهم المتمثل بالقوات الإسلامية المحيطة بانطاكية، وكان خروجها بهذا الترتيب سبباً في اختلاف الاجتهادات حول مواجهتها حيث كان رأي أحد قادة كربوغا وهو وصاب بن محمود ان يتم القضاء على كل فوج أو مجموعة تخرج من انطاكية، في حين رأى كربوغا الانتظار لخروج جميع الفرنج ثم موجهتهم دفعة واحدة وفي معركة واحدة حيث سيتم القضاء عليهم، ويضيف صاحب الـGesta انه أخذ برأي كربوغا ثم أتضح ان قوة الصليبيين وأعدادهم أكثر مما توقع مما جعله يطلب هدنة من الفرنج الذين بدورهم رفضوا هذا الطلب وقاتلوا بشجاعة مما أربك القوات الإسلامية وبدأت بالتراجع والانسحاب وكان أول المنسحبين حاكم دمشق وقواته، هكذا تكرر الموقف حول انطاكية شبيهاً بما كان حول نيقيه حيث تصل القوات الإسلامية متأخرة ثم تصل وهي على غير اتفاق كامل وتصل وهي غير مقدرة لقوة العدو الذي تواجه مما جعل النتائج مأساوية على الطرف الإسلامي.

وقد أشارت المصادر الإسلامية الى الاحداث حول انطاكية باستغراب واستهجان للنتائج، فيقول ابن القلانسي : - "ثم زحفوا (الفرنج) وهم في غاية من الضعف الى عساكر الإسلام وهم في الغاية من القوة والكثرة فكسروا المسلمين وفرقوا جموعهم، وانهزم أصحاب الجرد السبق ووقع السيف في الرجال

المتطوعين والمجاهدين والمغالين في الرغبة في الجهاد. بعد هذا الوضع حاول كربوغا اتباع وسائل مقاومة تهدف الى منع التقدم الصليبي وحاول ترتيب أوضاع قواته لكن ذلك لم يكن مجدياً وتتابعت الانسحابات من القوى التي كانت مشاركة له وكان آخر من بقي معه سلمان الارتقي وأمير حمص، وبعد فشل جهود كربوغا أنسحب هؤلاء ايضاً، وتابعت القوى الصليبية استغلال هذا الوضع وتابعت مطاردة القوات الإسلامية، ويصف المؤلف المجهول هذه الحال بقوله : - "ان الفرنجة قاوموا اغراء السبي والغنائم وتابعوا فلول المسلمين وقتلوا منهم اعداد كبيرة حتى عاد كربوغا الى الموصل يتجرع المرارة والألم لهزيمته أمام الفرنجة".

واذا كان فشل قلج ارسلان في بداية مواجهة الصليبيين سبباً لانشاء الإمارة الصليبية الأولى في الرها، فان فشل ياغي سيان وكربوغا في مواجهة الصليبيين في انطاكية كان سبباً في انشاء الإمارة الصليبية الثانية بعد ان استولوا عليها في ٢٦ رجب ٤٩٢هـ / ١٨ حزيران ١٠٩٨م، وكان سقوط انطاكية تمهيداً لمزيد من التقدم الصليبي في بلاد الشام وصولاً الى بيت المقدس.

مواقف القوى الإسلامية من التقدم الصليبي الى بيت المقدس:-

على الرغم من الأهمية البالغة لانتصارات الصليبيين منذ سيطرتهم على قونية على الروح المعنوية للقوى الصليبية، إلا ان هذه الأهمية أصبحت أكثر تأثيراً بسبب ان هذه الانتصارات قد بدأت تفعل فعلها في الجانب الإسلامي حتى الذي لم يتعرض بعد لغزو صليبي، لذا بدأت مناطق عدة وحكام عديدين في البحث عن كيفية مسالمة الفرنج أو عقد صداقات معهم بل وحتى الاستنجاد بهم ضد اطراف إسلامية اخرى، ويمكن أخذ موقف حاكم منطقة اعزاز كمثال على السماح للصليبيين بالتدخل في الشؤون الإسلامية الداخلية، فقد سعى أمير عزاز لطلب نجدة الصليبيين ضد سيدة صاحب حلب وقد أستغل الصليبيون ذلك وقدموا له العون حتى أصبح من أتباعهم.

هذه الانتصارات الصليبية لم تكن لتتم دون ان تترك أثراً على القوى الصليبية هذا الأثر الذي سببه أطماع بعض الصليبيين وخلافهم حول مصير المناطق التي سيطروا عليها ومنها انطاكية، وهذا الصراع الداخلي كان سبباً لتأخير الزحف الصليبي الى بيت المقدس. ولم يتمكن الطرف الإسلامي من استغلال هذه الاختلافات الصليبية، بل ان الذي حصل هو ان القوى الصليبية استغلت تأخر زحفها الى بيت المقدس لتحقيق محاسب مختلفة سواء اكان على صعيد توفير المواد التموينية أو على صعيد تدعيم مناطق احتلالها أو احتلال مناطق جديدة في بلاد الشام الشمالية.

وكان من أولى المناطق التي تعرضت لهجومهم هي منطقة معرة النعمان حيث تمت مهاجمتها بقوة عسكرية يقودها ريموند وذلك في ٢٧ تشرين الثاني ١٠٩٨م / ١٤ محرم ٤٩٢هـ، وكان للصليبيين قبل ذلك محاولة ناجحة ضد منطقة البارة شرق نهر العاصي، وشجعهم ذلك على السيطرة على معرة النعمان، ويشير وليم الصوري الى أسباب غزو الصليبيين لمعرة النعمان وموقف السكان من هذا الغزو حيث يقول : - "انهم (سكان المعرة) معروفين بعجرفتهم وغرورهم بسبب غناهم ومصدر فخرهم هو بعض الانتصارات التي حققوها ضد الفرنجة في مناوشات سابقة، وقد قابلوا الفرنجة بالشتائم والاحتقار ووصل بهم الأمر الى حد اهانة الرموز المقدسة للصليبيين، وهذا ما أثار الفرنجة فهاجموا المدينة بعنف وعملوا ابراجاً خشبيةً تسلقوا بها الأسوار... لكن المدافعين عن المدينة قاوموا بعنف واستخدموا عدة وسائل مثل رمي الحجارة واستخدام خلايا النحل والحرائق الا ان ذلك لم يجد في ردع الفرنجة من دخول المدينة في ١١ كانون الأول ١٠٩٨م، وعلى الرغم مما اشارت اليه رواية وليم الصوري من اشكال المقاومة الا ان هذه الرواية تحمل صيغة تبريرية لأعمال الفرنجة ضد سكان المعرة على اعتبار ان أهل المعرة هم الذين أثاروا الفرنجة وأهانوهم وذلك كي يبرر أعمال العنف الصليبية ويبرر عدم التزام الفرنجة بالعهود. ويصف ابن القلانسي ما حدث للمعرة وسكانها" وملكوا (الفرنج) البلد بعد صلاة المغرب وقتل فيه خلق

كثير من الفريقين وانهزم الناس الى دور المعرة للاحتماء بـــها فأمنـــهم الفرنـــج وغدروا بهم، ورفعوا الصلبان فوق البلد وقطعوا على أهل البلد القطائع ولم يفـــوا لهم بشيء مما قرروه، ونهبوا ما وجدوه وطالبوا الناس بما لا طاقة لهم به"، وهكذا ورغم مقاومة أهل المعرة الا انهم لم يستطيعوا الاستمرار في ذلك بسبب الفـــارق في القوة لدى الطرفين الصليبي وسكان المعرة، وقد حاول سكان المعرة الاستنجاد بالقوى الإسلامية وخاصة بحاكم حلب رضوان وحاكم حمص جناح الدولة ولم يفد ذلك بشيء، مما عاد وأكد من جديد فشل الجهود الإســـلامية فـــي انقـــاذ المـــدن الإسلامية أو ايقاف التقدم الصليبي.

بعد سقوط معرة النعمان تجددت المطالبة الفرنجية بالمسير نحـــو بيـــت المقدس وهكذا وبحسب قول المصادر اللاتينية انه وبضغط من جنود الفرنجة قـــور رايموند التخلي عن مطالبه في انطاكية لصالح بوهميند وقرر هو التقدم في طريقه نحو بيت المقدس، وقد شجعه على ذلك الانتصارات الصليبية التي تحققت حتـــى هذا التاريخ وفي ظل عدم فاعلية القوى الإسلامية أصبح طريق التقدم أكثر أمانـــاً، وخاصة ان العديد من القوى الإسلامية اما مشغولة بصراعاتها الداخلية، أو انـــها استغلت الفشل السلجوقي لاعلان استقلالها بمناطقها، وقد ظهر في هذه الفـــترة ان صراع القوتين الرئيسيتين في بلاد الشام دمشق وحلب يوفر للصليبيين اجواء أكثر تشجيعاً للتقدم، كما ان بعض القوى الإسلامية مثل بني منقذ في شيزر وبني عمـــار في طرابلس أبدو استعداداً أما للتعاون أو مهادنة الفرنـــج وبعضـــهم قـــدم الادلاء والمواد التموينية للقوات الفرنجية، وفي المقابل كانت هناك صورة أخرى ترفـــض مهادنة الفرنج وتعمل على مقاومتهم كما هو الحال في منطقة جبله وعرقه وحصن الأكراد، الا ان صدق مقاومة هذه المناطق لم يمكنها من الصمود لعـــدم تســـاوي القوى ولعدم تلقيها أية مساعدات من القوى الإسلامية الأخرى وبخاصة من مناطق مثل دمشق وحلب وطرابلس، التي أصبحت اهتماماتها محصـــورة علـــى حمايـــة مناطقها بغض النظر عن مصير المناطق الأخرى، وقد عمل الفرنج على تشـــجيع هذا التوجه لانه يخدم هدفهم النهائي باستمرار التقدم نحو بيت المقدس، وكما يشـير

وليم فان مواقف هذه القوى الإسلامية المهادنة أو الباحثة عن صداقة مع الفرنج قد زاد من قوة الجيش الصليبي حيث ان امراء حماة وطرابلس بعثوا مندوبيهم محملين بالهدايا للفرنجة وكان صاحب طرابلس قد طلب ارسال وفد صليبي للتباحث معه في كيفية تأمين مرور الجيش الصليبي عبر أراضيه، ورغم ذلك لم يمنع ذلك القوى الصليبية من مهاجمة بعض المناطق التابعة والقريبة لطرابلس وهي عرقه والتي حاصروها اعتبارا من ١٤ شباط ١٠٩٩م، وقد أفشل صمود هذه المنطقة محاولات الحصار الصليبي لها مما اضطر الصليبيين الى رفع الحصار عنها في سبيل متابعة الزحف الى بيت المقدس، ويشير وليم الى ان رفع الحصار عنها كان بسبب رغبة الجيش الصليبي بمتابعة زحفه الى بيت المقدس ورغم ان ذلك فيه شيء من الصحة الا ان من الصحة بمكان ايضاً ان المقاومة الجادة لاهالي عرقه كان سبباً في فشل الحصار الصليبي.

بعد رفع الحصار عن عرقه أتجه الفرنجة الى طرابلس وبحسب أقوال وليم الصوري فان سكان المدينة وأميرها قرروا التصدي للفرنجة، حيث ان المسلمين قد تخلصوا جزئيا من خوفهم وعادت اليهم بعض الثقة بعد ان قدمت لهم عرقة مثالاً في امكانية التصدي، ولكن الفرنجة تمكنوا من التغلب على مقاومة أهل طرابلس وتشير المصادر الى عروض حاكم طرابلس للمسالمة مجدداً ودفع أموال للصليبيين واطلاق أسرى صليبيين وتزويد القوات الصليبية بالمؤن واعلان التبعية لهم اذا ما تمكنوا من الانتصار على الفاطميين، بعد مغادرة الصليبيين لطرابلس والمناطق المحيطة بها قطعوا نهر الكلب ودخلوا في الأراضي الشمالية التابعة للفاطميين، وهنا لا بد من الإشارة ولو ايجازاً الى الجدل القائم حول دور الفاطميين في مقاومة الحملة الصليبية الأولى فالمصادر العربية تلقي باللائمة على الفاطميين وتتهمهم بالتقاعس عن مواجهة الصليبيين، بل ان الأمر يأخذ بعداً آخر حيث تحمل بعض هذه المصادر الفاطميين مسؤولية استمرار التقدم الصليبي في اراضي الشام، ويجعلون مبدأ ذلك بدءاً من السفارة الفاطمية للصليبيين في اثناء حصارهم لانطاكية، وان كان الفاطميون قد قاموا بذلك انتقاماً أو رغبة في الانتقام من

اعدائهم السلاجقة فان قصر نظرهم هذا كان لا بد ان يتغير بعد ان وصل الخطر الصليبي الى أراضيهم وحينها بدأوا يستعدون للمواجهة، وأول دلائل هذا التغير في الموقف الفاطمي نأخذه من روايات وليم الصوري (وهو الوحيد من المصادر المعاصرة الذي يشير لذلك) حيث يقول ظهر هذا التغير في الموقف الفاطمي عندما رجع مبعوثو الفرنجة الذين سبق ان أرسلوا لمصر بناء على طلب سفراء الخليفة الفاطمي، ويشير وليم على ان المصريين (الفاطميين) أساءوا معاملة هؤلاء السفراء وأجبروهم على البقاء بالقوة في مصر لمدة سنة، ويشير ايضاً ان هؤلاء السفراء عادوا برسالة من الخليفة الفاطمي تختلف عن الرسالة الأولى التي كانت قد أرسلت لقادة الفرنج وهم محاصرون لانطاكية، ففي السفارة والرسالة الأولى كان جهدهم (الفاطميون) منصباً على كسب ثقة ومساعدة الفرنجة ضد الأتراك والفرس، ولكن الآن موقفهم مختلف ولهجتهم اختلفت، حيث عرضوا على الفرنجة بالسماح لهم بالمرور الى القدس كحجاج بدون سلاح شريطة ان يكونوا ضمن مجموعات تتراوح ما بين ٢٠٠-٣٠٠ حاج مع ضمان الدولة الفاطمية لأمن هؤلاء الحجاج، وأعتبر الفرنجة هذه الرسالة اهانة لهم واعادوا السفراء محملين اياهم الرفض الصليبي للعروض الفاطمية مؤكدين انهم سيدخلون القدس بجيشهم بالقوة.

رغم ذلك فان فشل هذه السفارة لم يغير من خطط الفرنجة بشكل جذري ذلك ان الدولة الفاطمية لم تكن لها قوات عسكرية في المدن والقلاع الشمالية، وان كان الأسطول الفاطمي قريباً من السواحل الا ان ذلك لم يكن كافياً لمنع التقدم الفرنجي، ورغم ذلك فان القوات الفرنجية وعلى سبيل الاحتياط وتفادياً لنقص المؤن أو محاولات من الطرف الإسلامي للاعاقة، تفادياً لذلك ركزوا على العمل للمرور بالأراضي المؤدية للقدس بسرعة، وقبلوا على سبيل المثال العروض التي قدمت اليهم من حاكم بيروت بان يزودهم بالطعام وان يسمح لهم بمرور آمن عبر أراضيه شريطة عدم الاعتداء على ممتلكات بيروت والمناطق التابعة لها، وقد قبل الفرنجة ذلك والتزموا به.

ومن دراسة مواقف المدن الإسلامية من التقدم الفرنجي نلمح بعض التغير والذي تمثل في ان مدناً مثل طرابلس وبيروت عرضتا امكانية التبعية للفرنج اذا استطاعوا السيطرة على القدس وكأن هذه القوى تشعر ان الوضع الإسلامي سيصبح في غاية التردي اذا ما استطاعت القوى الفرنجية السيطرة على القدس، هذه السيطرة التي تعني التغلب على قوة الدولة الفاطمية، وعند ذلك تكون أكبر قوتين إسلاميتين المتمثلة بالسلاجقة والفاطميين قد فشلتا في التصدي للفرنجة وبالتالي تصبح تبعية القوى الأقل امكانيات مثل طرابلس وبيروت من طبيعة التعامل مع واقع مفروض.

ومجمل هذه التطورات والمواقف كانت دافعاً للقوى الفرنجية الى مزيد من التقدم بعد ان توفرت لها موارد التموين والمرور الآمن عبر مناطق إسلامية متعددة، الا ان ذلك لم يخل من استثناءات تمثلت في مقاومة التقدم الفرنجي كما حصل في مدينة صيدا التي بادرت بمهاجمة القوى الفرنجية في ١٠٩٩/٣/٢٠م، وألحقت بهم خسائر لم تكن كافية لاعاقة تقدمهم وجرت على صيدا ومناطقها انتقاماً فرنجياً، والتزاماً من القوى الفرنجية بعدم اضاعة الوقت في اعمال عسكرية واعمال حصار في هذه المناطق نجدهم بعد ثلاثة أيام في منطقة صور حيث وافتهم نجدات من مناطق الرها وانطاكية وتابعوا زحفهم حتى وصلوا مدينة عكا، وحول ذلك يشار الى ثلاث روايات : - رواية وليم الصوري تشير على ان موقف حاكم عكا كان مشابهاً لموقف حاكم طرابلس وبيروت وهو تقديم العون للفرنجة، مع اعلان انه سيعترف بهم اذا ما سيطروا على مدينة القدس واستطاعوا الاحتفاظ بهذه السيطرة ولمدة عشرين يوماً في حين ان الرواية الإسلامية كما وردت عند أبن الأثير تشير الى مقاومة أهل عكا لحصار الصليبيين مما أضطر القوات الصليبية الى ترك هذه المنطقة لمتابعة زحفهم باتجاه بيت المقدس، ويمكن ترجيح رواية أبن الأثير استناداً الى الاحداث التاريخية اللاحقة والتي تشير الى معاودة الفرنجة لمهاجمة مدينة عكا سنة ٤٩٧هـ / ١١٠٤م والذي تولى هذا الهجوم بغدوين ومعه نجدات جوية وبرية وبحرية.

يشير Setton الى رأي يجمع بين الرأيين السابقين حيث يذكر بان موقف حاكم عكا مسالماً في الظاهر للقوى الفرنجية فيما كان يعمل على تحريض القوى الإسلامية في فلسطين على التصدي لتقدم القوات الفرنجية ويستند في رأيه على ان القوات الفرنجية عثرت على رسالة مرسلة بالحمام الزاجل سقطت في أيديهم وهم في قيسارية تشير الى دعوة حاكم عكا للقوى الإسلامية للمقاومة.

تابعت القوات الفرنجية زحفها من عكا باتجاه القدس وسيطرت خلال ذلك على عدد من المناطق مثل الرملة التي سيطروا عليها بدون مقاومة واتفقت آراء القوات الفرنجية بعد ذلك بالتوجه الى القدس بعد ان كانت هناك طروحات تدعوا الى التوجه لمهاجمة مصر، وفي الطريق الى بيت المقدس وفي منطقة عمواس استقبلت طلائع القوات الفرنجية رسل من مدينة بيت لحم يطلبون من القوى الفرنجية التقدم الى مدينتهم وحمايتهم من المسلمين وأرسلت بناء على ذلك حامية فرنجية بقيادة تانكرد لهذه المدينة.

وهكذا أصبحت القوى الفرنجية على مقربة من القدس وبدأت الاحاطة بها اعتباراً من ٧ حزيران ١٠٩٩م / آخر بجب ٤٩٣هـ ازاء ذلك اتخذت مدينة القدس وحاكمها الفاطمي افتخار الدولة بعض الاستعدادات منها تحصين اسوار المدينة والعمل على تسميم مصادر المياه خارج الأسوار والعمل على اخراج من يشك بولائهم من النصارى من المدينة، ويبدو ان الوضع كان بالنسبة لافتخار الدولة مطمئناً وخاصة انه ينتظر قدوم مساعدات فاطمية، وخيل له ان امكانية الصمود واردة في ظل قلة عدد القوات الفرنجية وقلة امكاناتها الخاصة بحصار الاسوار وقلة موارد التموين وبعدهم عن الساحل اضافة الى احاطتهم بقوى سكانية إسلامية في معظم المناطق، علاوة على طبيعة الطقس في أيام شهر حزيران، الا ان هذه الامكانيات لم تستغل من قبل الفاطميين، واستغلت فرنجياً بالعمل على سرعة مهاجمة القدس لتحقيق حلمهم ولتفادي وصول نجدات فاطمية، وكما هو الحال حين تتعرض القوى الفرنجية لازمات في حروبها وكما في انطاكية تتدخل

العناية الالهية هنا ايضاً في حصار القدس استجاب الرب لدعواتهم وعوضهم عن نقص القوات وآلات الحصار بمجيء مساعدة من الأسطول الجنوي.

وقد شدد الفرنجة حصارهم للمدينة المقدسة وتكررت هجماتهم في ضوء مقاومة فاعلة من سكان القدس، وقد أشار وليم الصوري الى عنف الهجوم الفرنجي وضراوة المقاومة الإسلامية بقوله : - "بانه كان ينم عن كره مرير بين كلا الطرفين"، واشتدت الهجمات الصليبية للعمل على انجاز مهمة السيطرة على المدينة قبل مجيء مساعدات فاطمية واستعدوا لذلك استعداداً عسكرياً وروحياً حيث اعلنوا الصوم والتوبة للتكفير عن خطاياهم، وبدأ هجومهم في ١٣ تموز ١٠٩٩م وبعد يومين من بدء هذا الهجوم الأخير تمكنت القوات الفرنجية من دخول أسوار القدس يوم ١٥ تموز ١٠٩٩م / ٢٣ شعبان ٤٩٢هـ.

وقد أفرغت القوات الفرنجية كل حقدها على سكان المدينة وارتكبوا أبشع مجزرة ضد المسلمين واليهود ايضاً بغض النظر عن الأعمار أو الأجناس، وقد أفاضت المصادر الإسلامية والاتينية بذكر تفاصيل مخيفة عن هذه المجزرة، ويمكن الاستدلال من نص لاتيني يبدو ظاهره حيادياً ولكنه يعبر عن حجم المجزرة ورهبتها حيث تقول أحد هذه النصوص : - "بان الحي كان يحسد الميت لهول المنظر والقاتل كان منظره مخيفاً أكثر من المقتول".

وعودة الى الموقف الفاطمي، فان المحاولات الفاطمية للحفاظ على وجودهم في مناطق فلسطين والقدس خاصة لم تكن لتختلف عن مواقف القوى الإسلامية الأخرى في مناطق أخرى، فانجاد الفاطميين للقدس لم يكن ليختلف عن محاولة انجاد القوى السلجوقية لانطاكية ففي الحالتين جاءت نجدات الطرفين في الواقعتين متأخرة وجاءت مرتجلة ودون اعداد مسبق أو كافي، ونجد في قول أبن القلانسي تعبيراً عن ذلك، حيث يقول : - "ووصل الأفضل في العساكر المصرية وقد فات الأمر".

وهكذا وبعد ان سقطت القدس بايدي القوى الفرنجية تنتهي مرحلة من مراحل الحرب الصليبية التي بدأت ١٠٩٦م، لتعقبها مرحلة جديدة من وجود صليبي لاتيني في الشرق حيث تأسست مملكة بيت المقدس اللاتينية والتي نذر لها ان تبقى مزروعة في أرض فلسطين وبلاد الشام مدة قرنين من الزمان.

وبعد سقوط القدس يبدأ على الصعيد الإسلامي فصل آخر من ردود الفعل على الصعيدين الشعبي والرسمي تجاه هذا الواقع الذي استجد، ردود الفعل هذه منها ما كان خاصاً باهل عرب فلسطين وتصديهم للخطر الفرنجي، ومنها ما هو محاولات من قوى سياسية رسمية كما هو الحال من مواقف السلاجقة في العراق أو محاولات متكررة من الفاطميين بقيادة الأفضل بن بدر الجمالي، ردود الفعل هذه بمجملها لم تكن قادرة على تغيير واقع الاحتلال الفرنجي.

اما على صعيد المقاومة الشعبية في فلسطين للوجود الفرنجي فقد أشارت المصادر اللاتينية بخاصة الى أنماط من المقاومة شملت جميع الفئات والطبقات في القرى والمدن وعلى الطرق التجارية.

هكذا لاحظنا ردود الفعل الإسلامية على قدوم الحملة الصليبية الأولى ومنذ سيطرة القوى الصليبية على نيقية وحتى سيطرتهم على بيت المقدس، ان هذه الردود كانت تتميز بالضعف الذي لم يكن يعني ضعف الامكانيات البشرية والتسليحية، وانما الضعف الذي كان نتيجة للسياسات العدائية بين الأمراء والأطراف والقوى الإسلامية المختلفة، كما ان رد الفعل جاء في بعض الاحيان سلبياً أو متخاذلاً لسوء تقدير بعض القوى الإسلامية لحجم القوة الفرنجية كما حصل بسوء تقديرات قلج ارسلان، أو لعدم ادراك طبيعة الأهداف الصليبية الا بعد فوات الاوان كما حصل بالنسبة لموقف الدولة الفاطمية منذ بدايات الحصار الصليبي لانطاكية.

وقد أشار البحث ايضاً على ان النقطة المحورية في الجهد العسكري الصليبي كان من بعد انتصارهم في انطاكية، هذا الانتصار الذي أدى الى تراجع

العديد من القوى الإسلامية عن فكرة المقاومة وتخوفهم من القيام أو الدعوة لذلك، وبالمقابل أصبح أمر مهادنة أو تقديم العون للقوى الصليبية أمراً مألوفاً.

وعلى الصعيد الشعبي نجد ان الفرنجة قد واجهوا في تقدمهم لبيت المقدس اشكالاً متعددةً من مقاومة السكان، وان كان قد حد من هذه المقاومة أو أحبطها أو منعها بعض الحكام والأمراء السياسيين، هؤلاء الذين كانت اهتماماتهم لا تتعدى الحفاظ على مناطق حكمهم بأي صورة من الصور. ان ذلك قد ولد حالة من الاحباط واليأس لدى جزء من السكان، ولكنه في نفس الوقت كان عاملاً هاماً جعلت عامة الناس تفتش عن سبب البلاء الذي تعيشه وكان جزءاً هاماً من هذه الأسباب يكمن في الحكام، وسعى عامة الناس ورجال الدين وغيرهم الى تغيير هذا الواقع، وقد أخذ ذلك وقتاً الى ان بدأت حركة إفاقة إسلامية ورد فعل فاعل ضد الوجود الصليبي بدءاً من عهد عماد الدين زنكي ونور الدين وصلاح الدين الأيوبي هذه الجهود وجهود من تبعهم كانت كفيلة بتحرير الأراضي العربية الإسلامية من السيطرة الصليبية.